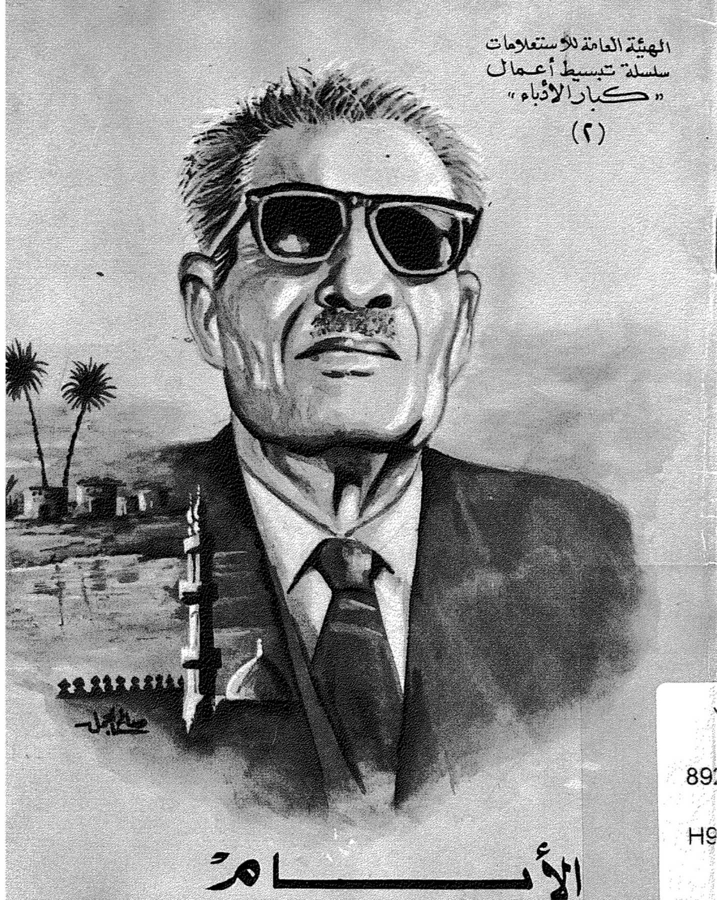


الهيئة العامة للاستعلامات
سلسلة تبسيط أعمال
«كبار الأدباء»
(٢)

الأيام

للدكتور / طه حسين

إعداد
اسماعيل عبد الفتاح

الهيئة العامة للاستعلامات
سلسلة تبسيط أعمال
"كبار الأدباء"
(٢)

الأيـــــام

للدكتور/ طه حسين

بسم الله الرحمن الرحيم

أصدقائى :

نلتقى اليوم مع رائعة من روائع الأدب العربى الحديث ومع قمة القمم للأدب العربى الحديث !

هل عرفتم ما هى هذه الرائعة ؟

وهل عرفتم من هو صاحبها ؟

فكروا معى جميعاً ... فهذه الرائعة هى قصة كفاح ونضال تلك القمة الشامخة فى الأدب العربى ... وهذه القمة الأدبية صاحبة الكتاب كانت وما زالت صرحاً ضخماً للأدب العربى وصاحبة إرادة قوية وبصيرة عميقة استطاعت أن تحقق الكثير لنفسها ولوطنها ولأمتها .

إنه عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين فى رائعته ... الأيام ...

ولكن . . هل جربت يا صديقى أن تعيش لمدة خمس دقائق وأنت مغمض العينين وتعيش حياتك الطبيعية خلال هذه المدة ؟ . . . حاول أن تجرب . . . حاول . . . وبالطبع ستجد الأمر فى غاية الصعوبة !

فما بالك يا صديقى بالذين يعيشون حياتهم فى ظلام دائم . . . ولكن الله سبحانه وتعالى يخلق كل شىء بحساب ولذلك فهو يعطى هؤلاء ما يعينهم ويعوضهم عن عاهاتهم . . .

ولقد كان الدكتور طه حسين من بين هؤلاء الذين عاشوا حياتهم كلها فى ظلام دامس[1] ولكنه ظلام البصر فقط ، فقد كانت بصيرته مشتعلة متوهجة[2] . . . وباهرة[3] الضوء .

يحكى لنا الدكتور طه حسين فى كتابه « الأيام » حياته كلها . حياة قهر[4] الظلام وقهر العاهة . . . والتحدى الشديد من جانب الإرادة القوية للوصول إلى الآمال الكبيرة . . . ويحكى كيف

(١) دامس : دائم
(٢) متوهجة : شديدة
(٣) باهرة : قوية
(٤) قهر : التغلب عليه

كان يعيش ، وكيف سارت به الأيام بطيئة مملة منذ مولده فى ١٤ نوفمبر ١٨٨٩ ميلادية . . .

أصدقائى وأحبابى . . .

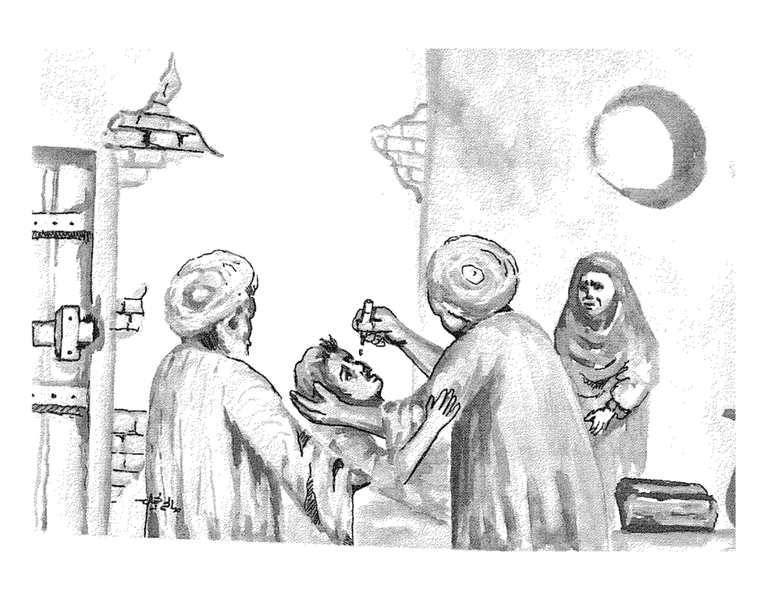
تعالوا معى لنرى رحلة الأيام هذه لأنها رحلة لذيذة . . وجميلة .. وعجيبة . . .

لا يعرف متى فقد عينيه ، ولكنه يعرف كيف حدث ذلك. فلقد أصابه الرمد [٥] ، فأهملته الأسرة أياماً ، ثم جاء حلاق الصحة ليعالجه . . . فعالجه علاجاً ذهب بعينيه [٦] . . . كان ذلك وعمره حوالى عامين .

وأصبحت حياته منذ نعومة أظافره [٧] تسير بتلقائية .. فهو يحب الخروج من الدار ويجلس على مقربة منه ينتظر صوت الشاعر ينشد المواويل وسط مجموعة من الناس وكان يقص عليهم حكايات (أبو زيد الهلالى ، والزناتى خليفة ، ودياب بن غانم) وغيرها من القصص ...كان

---

(٥) الرمد : مرض يصيب العيون وخصوصا فى الصيف .
(٦) ذهب بعينيه : اصطلاح يقصد به فقد عينيه .
(٧) نعومة أظافره : من أيامه الأولى .



يحبها الطفل جداً . . . فهو يعيش وسط أسرة عددها ثلاث عشرة فرداً ، وتأتى والدته لتأخذه للنوم بالقوة . . . ويحاول النوم فلا يتمكن . . . استمع لقصة خاتم الملك سليمان ـ وهو خاتم إذا حكه الإنسان بأصابعه يأتى إليه خادمان من الجن يلبيا [٨] كل رغباته فتمنى الحصول على الخاتم وحاول أن يأتى به من قاع الترعة فكاد يغرق .

(٨) يلبيا : يجيبا وينفذا كل الطلبات .

كان يحس بالحنان الصادق من أبيه وأمه ، فلقد كانا يخافا عليه ، فيما وفى حياته علامات استفهام . . . كانت معاناته فى تناول الطعام كبيرة ... فحاول مرة أن يمسك قطعة الخبز بكلتا يديه ويأكل ، فضحك عليه إخوته ، فأثرت هذه الحكاية فى نفسه وقيدت حركته بعد ذلك بشيء من الرزانة والحياء وحرم على نفسه أنواع عديدة من الطعام لم يأكلها إلا بعد زواجه مثل كل الأنواع التى تؤكل بالملعقة .

وتعود أيضاً أن يحاول قدر استطاعته أن يأكل بمفرده فى حجرة خاصة . وكذلك كان يخاف أن يشرب من الكوب على مائدة الطعام خوفاً من أن يضطرب الكوب فى يده .



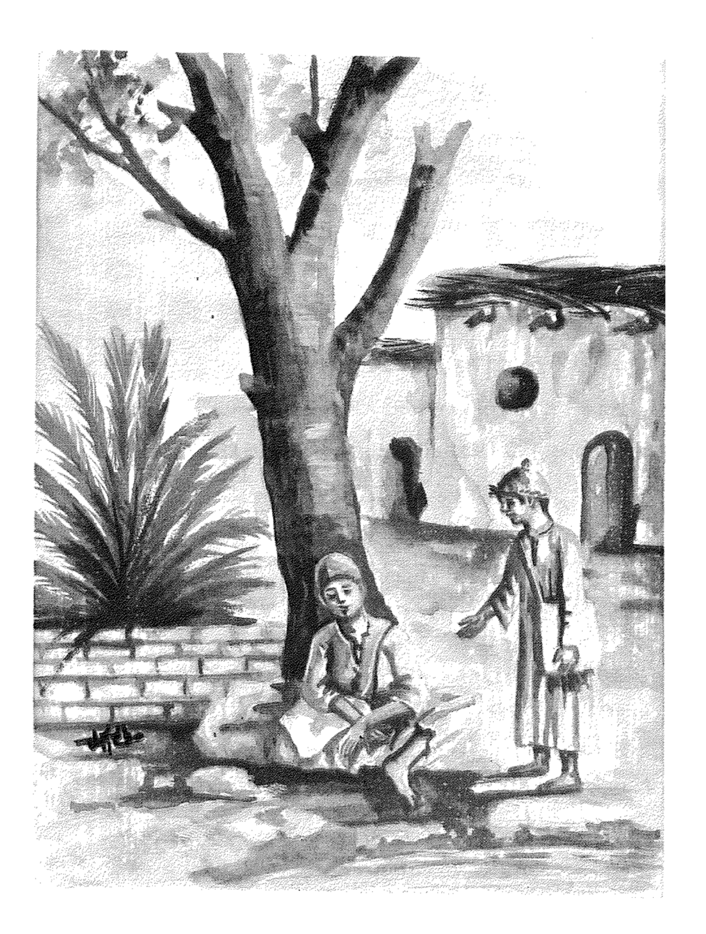
كذلك كان يبتعد قدر الإمكان عن ألوان اللعب والعبث وكل شئ يعرضه لضحك الآخرين عليه أو إشفاقهم ، وكان يشارك الأطفال فى اللعب بعقله لا بيده فعرف أكثر ألوان اللعب دون أن يلعبها .

كما تعود أن يحسن الاستماع ، فكان يحب سماع القصص حباً شديداً ، وكان والده وأصحابه يحكون قصص الغزوات والفتوح وأخبار عنترة وبيبرس وأخبار الأنبياء والنساك[9] والصالحين ، ويستمع إلى ثرثرة النساء وحكاياتهن وأغانيهن ، ويستمع إلى جده وهو يقرأ الأدعية الدينية ، فلم يبلغ التاسعة من عمره حتى حفظ الأغانى والتعاويذ والقصص وشعر الهلاليين وأناشيد الصوفية . . . بالإضافة للقرآن الكريم .

وكانت قصته مع القرآن وحفظه قصة طويلة لذيذة . . . لأنه بدأ بالذهاب إلى كتاب القرية وهو صغير يحمله أحد إخوته على كتفه ، بدأ يحفظ القرآن على يد شيخ الكتاب آية آية حتى أتم حفظه قبل أن يصل إلى التاسعة من عمره ، وأتم حفظ القرآن مرات عديدة خلالها .

---

(٩) النساك المتعبدون .



فأول مرة اختتم القرآن ذهب معه الشيخ إلى والده وطالب بحقوقه عن التحفيظ وبالفعل حظى بالعشاء الدسم ، ولكن سرعان ما اكتشف الوالد أنه نسى ما حفظه فأعاده ثانية إلى الكتاب فأعاد حفظه فى مدة قصيرة جداً وجاء الشيخ يطلب من والده اختباره فنجح تماماً فى الامتحان ونال الشيخ هديته وهى « جبة من الجوخ » ، وعاد إلى الإهمال فى الكتاب بعد أن أهمله الشيخ فنسى ما حفظ وعنفه أبوه وغضب منه حتى أتم حفظه للمرة الثالثة ... وجاء شقيقه الأكبر من الأزهر الشريف ليقضى أجازة الصيف ورفض أن يأخذه معه للأزهر لصغرسنه وطلب منه الاستعداد للأزهر بحفظ ألفية ابن مالك[١٠] وقراءة كتاب مجموع المتون للاستعداد لدخول الأزهر ، وأعجب الطفل بتلك الكتب وخصوصاً بعد أن شاهد حفاوة أهل القرية بشقيقه الأزهرى ، فالتهم الكتب التهاماً ، وكان يذهب لقاضى المحكمة الشرعية لقراءة أبيات كتاب ألفية ابن مالك وكان يعجبه صوته ، فقد أثر كثيراً فى نفس الطفل ... وسرعان ما قلت همة الطفل وأهمل فى حفظ الأبيات ، وعندما عاد شقيقه فى العام الثانى اكتشف إهماله وقام بتحفيظه الألفية فى عشرة أيام .

(١٠) كتاب فى النحو .

وعرف من شقيقه أن العلماء بالقاهرة كثيرون والقاهرة مدينة متسعة بخلاف قريته التى لا يزيد فيها عدد العلماء عن ثلاثة أو أربعة أخذ عنهم الطفل العلم ، وفى أثناء إحدى الاحتفالات الدينية التى أقامها والده لبعض الشيوخ الذين يتنقلون بين البلاد المختلفة مسح كبيرهم على رأس الطفل طه وقرأ قول الله تعالى « وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما » فاقتنع والده بأن ابنه سيكون له شأن عظيم ، واستفاد الصبى طه من هؤلاء الشيوخ ألواناً من أخبار الكرامات والمعجزات وأسرار الصوفية ، وطلب من أصدقائه قراءة بعض كتب التصوف وألف ليلة وليلة وكتب السحر ، بل حاول أن يجرب بعض تعاويذ السحر ليحضر خادم الجان ففشل فى ذلك وعرف أن كل ذلك نصب واحتيال . كما أن والده كان يطلب منه قراءة سورة « يس » حتى يستجيب الله لدعائه ويرزقهم رزقاً وفيراً ويقضى حوائجهم ، وكان الله يستجيب للدعاء .

كما تأثر الصبى بأحد مفتشى الطرق الزراعية الذى نزل بالقرية فقام بتجويد القرآن للشيخ طه ، كما قام بشرح أصول التجويد بعلوم المد والغن والإخفاء والإدغام ، وأعجب الشيخ طه بهذا كله حتى أتقن التجويد . كل ذلك وهو لا يتعدى الثانية عشرة من عمره ،

ولـكن فى هذا العـام شهد الصبى وفاة شقيقته الصغرى نتيجة علاج خاطىء من حلاق الصحة ، ثم وفاة جده ، ثم وفاة شقيقه الأكبر وكان حاصلا على البـكالوريا ويستعد لدخول كلية الطب ، وحرص الفتى من يومها على أن يتقرب إلى الله بكل ألوان التقرب بالصدقة حيناً [11] وبالصلاة وتلاوة القرآن أحياناً أخرى ، وقام بالصلاة والصوم بدلا عن أخيه المتوفى وتغير الصبى تغيراً تاماً » .

أصدقائى . . . صديقاتى . . .

أخيراً جاءت البشرى . . . بالاستعداد للذهاب إلى الأزهر فى عام ١٩٠٢ م وأوصاه والده قبل السفر بالاجتهاد فى طلب العلم بالأزهر حتى يصبح من علمائه ، وودعته الأسرة كلها وسافر ووصل للقاهرة . كانت حياته فى القاهرة عجيبة وعاش فقيرا ، لا يأكل إلا لوناً واحداً من الطعام ، ولـكنه لم يسخط ولم يشتك ، وأقبل على حلقة العلم مصغياً إلى الأستاذ يلتهم كلامه التهاماً ، وتراه مبتسما دائماً .

وكانت إقامته بالقاهرة صعبة ، فـكان يعيش مع شقيقه فى حجرة بالدور الثانى ، وكانت تلك الحجرة للنوم والمعيشة والمذاكرة

---

(١١) الحين : بعض الوقت .

واستقبال الضيوف وغير ذلك . وقابل العديد من الرجال وعرفهم وتأثر بهم وذكرهم ومنهم الحاج فيروز الذى كان يشترى منه طعامه من الفول المدمس وكان يبيع أيضاً الجبن والزيتون والعسل والطحينة وتأتى عنده خطابات الطلاب جميعاً وكان دكانه قريباً من حجرته ، يتذكر الحاج على وقد تقدمت به السن وكان يقوم يومياً لصلاة الفجر ويأتى يوم الجمعة ليجتمع حوله طلاب المنزل ويعدون له ولهم عشاء مطبوخاً لذيذاً . وتحدث أيضاً عن زملاء أخيه وعن بعض جيرانه وتحدث عن البيئة التى عاش فيها فى منطقة الربع وهى منطقة حوت زملاء علم فى الأزهر على اختلاف أعمارهم وبعض العائلات وأصحاب المهن المختلفة والشيوخ الذين يقومون بالتدريس فى الأزهر .

وصل إلى الأزهر ، وكان متشوقاً إلى الدرس ، وكان يرافقه أخوه فى رحلته اليومية من حجرته للأزهر وكان يجلسه بعد صلاة الفجر فى درس التفسير ثم يجىء إليه شقيقه ويأخذه ليجلسه فى درس الصبح فى الفقه ثم يعودا إلى المنزل للافطار ثم يذهبا لسماع درس الضحى ثم الظهر . . . ثم يعودا وهكذا . .

وما هى إلا أيام حتى أخبره شقيقه بأنه مطلوب للامتحان فى القرآن توطئة لانتسابه فى الأزهر فذهب مضطرباً ولكن ما أن وصل

إلى الممتحن فنادى عليه (تعال يا أعمى) فتركت العبارة فى نفسه وأذنه وقلبه شيئاً ، ولكنه أدى الامتحان وخرج ساخطاً على الممتحن وعلى بساطة الامتحان ، ثم تم توقيع الكشف الطبى عليه وذكر الطبيب أنه صالح للانتساب للأزهر مع أنه لم يبلغ سوى ١٣ عاماً فقط ، وأصبح طالباً منتسباً فى الأزهر .

منذ وصوله للقاهرة وهو يستمع من زملاء شقيقه إلى حكاياتهم مع الأزهر ومع إجازته العالية ومع الشيوخ ومع النحو ، فهذا أمضى بالأزهر عشرين عاماً وهذا فشل فى الحصول على أية درجة وما زال يواصل دراسته لعل وعسى أن يحصل على شيء ، يسمع من زملاء أخيه مدى حب الطلبة للإمام محمد عبده وفخرهم لأنهم تلاميذه هو والشيخ بخيت والشيخ أبى خطوة والشيخ الراضى .

ومرت الأيام الأولى سعيدة وهنيئة رغم أن شقيقه يتركه منذ آذان الظهر حتى النوم حيث يذهب للمراجعة مع زملائه ثم يحضرون درس المغرب للامام محمد عبده ولا يعود إلا بعد العشاء ، ولكن ما هى إلا أيام حتى حضر إبن خالته وصديق طفولته فبدأت حياته الأزهرية تنتظم فى عامها الأول وكانت له ذكريات فى هذا العام ، كان الشيوخ لا يحبون النقاش والمجادلة فكان يترك هذا ويذهب



لشيخ آخر ، وأصبح يقضى النهار كله فى الأزهر طالباً للعلم وفى آخر النهار يقرأ له إبن خالته بعض الكتب .

بدأ بدراسة الفقه والنحو فى السنة الأولى ودرس أيضاً التفسير والأدب والبلاغة وكان أسعد الناس بهذه الدروس . . ومضى هذا العام وجاء عام جديد بعد إجازة مملة قضاها فى بلدته حيث انتقد بعض العادات السيئة فى مجتمعه فذعر الناس منه وغضبوا عليه ولكن والده كان سعيداً به وبعلمه وبتحصيله .

وجاء العام الثانى فأقبل على دروس الفقه ، والنحو والمنطق ، ولكنه بدأ يستجهل شيخ النحو وبدأ يسمع بعض العبث ببعض الشيوخ والاستماع إلى نقائصهم إلا أنه أتم دراسة كتب فى النحو والمنطق والبلاغة والتفسير ، ولكنه رغم ذلك من كثرة مناقشاته ومن كثرة استماعه لأصحاب السوء وضع رأياً سيئاً فى الشيوخ والعلماء والطلاب ، وكان يرى أن الخير كل الخير فى أن يجد ويجتهد .

ولكنه ازداد سوءاً حين استقبل عامه الثالث فراح يتنقل بين هذا الأستاذ وذلك الشيخ دون أن يستقر على أساتذة معينين مما أدى إلى حيرته وعدم انتظامه وكثرة مجادلته لشيوخه وبالتالى كثرة إعراضه

عن سماع الدروس . وبدأ يتضايق من أسلوب الشيوخ فى قراءة الكتب وعدم استعدادهم للنقاش فيها واعتقد أن دراسته مجرد قشور لا ترضاها نفسه وبدأ يقبل على درس الأدب ، كما بدأ يقبل على دار الكتب ليقرأ له فيها أصدقاؤه بعض الكتب ، وفى النحو قرر أن يدرس النحو من مصادره الأولى ولم يتمكن من الاستمرار مع أستاذ بعينه .

استمرت سنواته الباقية فى الأزهر على هذا المنوال ، فعاد ضيق النفس من الأزهر فكان لا يجد مانعاً من إقامته فى القاهرة واختلافه مع الشيوخ ، وظل حائرا . . . نعم إنه جاء ليدرس العلوم الأزهرية حتى يبلغ الامتحان ويظفر بالدرجة ويسند ظهره على عامود ويبدأ الدرس لأن هذا هو طريق المكفوفين أمثاله لأن الحياة فرضت عليهم ذلك وإن لم يستطع فالطريق الآخر قراءة القرآن فى البيوت والمآتم ... ولذلك لم يجد مفراً من الاستمرار فى الأزهر حتى يبلغ غايتها ، وبعد أربع سنوات أدرك مرحلة المستحق[١٢] فى الأزهر واقترب من نهاية الطريق . وأمضى السنوات الباقية تأدية للواجب فيكره نفسه على سماع درس الفجر فى التوحيد ودرس الفقه فى الصباح

(١٢) مرحلة المستحق فى الازهر : تأتى بعد مدة من الزمن يقضيها فى الأزهر ويصرف له الأزهر حصة من الطعام .

ودرس البلاغة فى الظهر ودرس المنطق بعد المغرب وذلك قطعاً للوقت والتماساً للفكاهة مع أصدقائه من الأزهر .

ظل الفتى على يأسه ولم يبق له أمل إلا فى درس الأدب فلقد بدأ يحفظ بعض الأبيات التى يحفظها أخوه ، فحفظ المعلقات ومقامات الحريرى ، ومقامات بديع الزمان الهمذانى . وقصائد أبى فراس الحمدانى ، وخليطاً من الشعر والنثر ، وبدأ الاختلاط بالأدب ، وازداد حباً للشيخ سيد المرصفى الذى كان يقوم بتدريس الأدب لهم . وحفظ كل كلامه وآرائه وتفسيراته،ثم تم التعارف بينهما وأحبه الفتى كثيراً واصطحبه الشيخ سيد المرصفى ، ومما زاده حباً فى الشيخ المرصفى كونه يهاجم الأزهر ودروسه وسوء مناهج التعليم فيه ونقد شيوخ الأزهر . وازدادت نفسه ضيقاً بالأزهر بعد علاقته بالشيخ المرصفى التى قويت،وتعددت اللقاءات مرة على القهوة ثم اللقاء بمنزله .

وحدث فى يوم وهم مجتمعون أن أنكر الفتى تكفير الحجاج بين يوسف الثقفى وحدث هجوم شديد على الأزهر وشيوخه ، فدعاه شيخ الأزهر هو واثنين من أصدقائه ، وواجهه شيخ الأزهر بطالب ذكر إساءته لشيوخ الأزهر ، فلم ينكر هو وزملاؤه الاتهامات ، فطلب شيخ الأزهر محو إسم الفتى وصديقيه من سجلات الأزهر

ثم أمرهم بالانصراف ، وأمر الشيخ المرصفى بتغيير ما يدرسه للطلاب . وحاول هو وصديقيه استعطاف الشيخ بخيت وكيل الأزهر إلا أنهم بدلا من استعطافه جادلوه ثم أغضبوه . وعرف شقيقه الحكاية فترك له حرية العمل . . . ثم تبين بعد ذلك أن شيخ الأزهر لم يعاقبهم ولم يمح أسماءهم وإنما أراد تخويفهم فقط . . .

أصدقائى . . .

مرت السنوات الباقية ثقيلة مملة ، واشتد ضيقه بالأزهر فكان يعوض ذلك بقراءة كتب إخوته وأصدقائه أثناء الأجازة الصيفية ، وتوالت الأحداث بعد ذلك على غير المتوقع فلقد تركه شقيقه وذهب إلى مدرسة القضاء الشرعى وذهب إبن خالته إلى دار العلوم ، مما اضطره أن يستأجر خادماً خاصاً أسود لخدمته وللقراءة له ومرافقته فى رحلة الذهاب والعودة .

وبعد ثمان سنوات عرف أنه تقرر الترخيص لمن دخل الأزهر قبل السن أن تضاف هذه المدة إلى مدتهم بالأزهر ، فعمل شهادة تثبت أنه دخل الأزهر قبل السن بعامين ، وبالتالى أصبح أمامه سنتان فقط ليتمكن من دخول الامتحان فلقد كان الطالب يدخل الامتحان بعد إثنى عشرة من انتسابه بالأزهر الشريف . . .

وظهر الأمل واضحاً أمام الفتى . . .

فإما طريق الأزهر ، وقد واصل الهمة والجد لنيل شهادة العالمية وإما دخول الجامعة المصرية التى أنشئت فى هذا العام ، وقرر الفتى ألا يضيع الفرصة الأولى أو الثانية ، فنظم وقته بين الأزهر وبين الجامعة . . . الأزهر فى الصباح والظهيرة ، والجامعة فى المساء ...

لنرى أولا رحلته مع الأزهر وكيف انتهى منها وما هى النتيجة ؟

لقد شحذ الهمة وقوى من العلاقات بينه وبين الأزهر التى كادت أن تنقطع وبدأ يتهيأ لامتحان العالمية فى الأزهر ، فاستعد وأحسن الاستعداد واستكمل ما ينقصه من العلوم ، وحفظ ما كلف به فأحسن الحفظ حتى ليلة الامتحان ، فأقبل عليه الشيخ المرصفى فى حجرته وأنبأه بأن هناك تخطيطاً من شيخ الأزهر لرسوبه فى الامتحان لمقالاته بالصحافة وهجومه على نظم وشئون وشيوخ الأزهر ، وطلب منه أن يعتذر عن دخول الامتحان هذا العام ويؤجله للعام التالى ، فرفض الشيخ طه نهائياً وقرر التحدى وذهب للجنة الامتحان التى تعدلت خصيصاً لرسوبه ، وظل ساعتين والنصف يتلقى الأسئلة ويجيب عليها فى ثقة وطمأنينة حتى جاءت فترة الاستراحة ولم يمهلوه

حتى يتم الامتحان وأعلنوا النتيجة برسوبه مقدماً ! ! وانتهت علاقته بالأزهر منذ ذلك اليوم . . .

ونعود للجامعة المصرية التى كان يسير فيها الشيخ طه جنباً إلى جنب مع الأزهر الشريف . . . فى بداية إنشائها بدأ يفكر : أتقبله الجامعة وهو كفيف ؟ ! وظل بين خوف ورجاء حتى جاء مساء ذلك اليوم الذى ذهب فيه إلى الجامعة ودفع جنيها كاملا ليؤذن له بالاستماع إلى دروس الجامعة ، وفى يومه الأول استمع إلى درس عن الحضارة الإسلامية فأعجبه الدرس وملك عقله وقلبه فاستمع له مرة أخرى ، وفى اليوم التالى تمتع بسماع درس عن الحضارة المصرية القديمة ثم دروس أدبيات التاريخ والجغرافيا . . . وكان يقضى نهاره فى الجريدة وقويت اتصالاته بالأستاذ أحمد لطفى السيد والشيخ عبد العزيز جاويش ، وأخذ يجرب نفسه فى الكتابة للصحف كما جرب نفسه فى الشعر ، فعرف بطول اللسان والإقدام على ألوان من النقد ولكنه كان نقداً محافظاً إلا فى شئون الأزهر فكان نقداً لاذعاً .

وتيسر الحال نوعاً ما فاستمر فى قراءة الشعر الجاهلى والإسلامى والعباسى وحفظه الفتى وبدأ يقرأ أخبار الشعر والكتاب وعلماء

اللغة والفقه والحديث ... وازداد ثقته بنفسه بمناقشاته الكبيرة مع أحمد لطفي السيد والشيخ عبد العزيز جاويش ، وكانت له مع الشيخ عبد العزيز جاويش قصة طويلة . فرغم أن الشيخ شجعه على الجهر بخصومه وكتابة النقد اللاذع ، إلا أن له أفضالا عديدة على طه حسين فهو الذى حبب فى نفسه فكرة السفر لأوروبا لتلقى العلم كما أنه هو الذى عرف الفتى إلى جماهير الناس وقدمه فى مهرجان دينى شعرى بمناسبة رأس السنة الهجرية ، وعلمه الكتابة وتحرير المجلات فأنشأ مجلة الهداية وطلب منه أن يشارك فى تحريرها بل وجعله مشرفاً على التحرير ، وجعله يدرس الأدب فى مدرسة ثانوية أنشأها الشيخ جاويش كما أعان الشيخ طه على الخروج من بيئته المغلقة إلى الحياة العامة وعلى أن يكون له إسم معروف ، وفعل ذلك أيضاً الأستاذ لطفى السيد الذى تنبأ له بأنه سيكون « فولتير[١٣] مصر » . بل ان الأستاذ لطفى السيد عرفه بالآنسة « مى » الأديبة الشاعرة القديرة .

أصدقائى :

واصل الشيخ طه طريقه فى الجامعة المصرية فاحتل مكاناً بارزا بين الطلاب ، فأحاطه الطلاب بعنايتهم ، وكان فى قمة سعادته وكان

---

(١٣) فولتير : شيخ ادباء اللغة الفرنسية .

يرى حياته فى الجامعة عيداً متصلا ، عيداً تختلف فيه ألوان اللذة والغبطة والرضا والأمل . . يمضى عاماً كاملا فى الجامعة لا يحس الفتى سأماً أو ضيقاً ، وجاء العام الثانى فاستمع إلى أساتذة أجانب من إيطاليا وفرنسا وألمانيا وغيرهم من الأساتذة المصريين واتصل بهم وسعد بهم وسعدوا به وبمناقشاته واجتهاداته ، فهذا الأستاذ « سنتلانا » صحبه الفتى لسماع درس الشيخ البشرى فى التفسير فى الأزهر الشريف ثم صحبه للقاء شيخ الأزهر الذى دعى عليه بالشقاء ، كما كان أسعد الناس بأساتذته المصريين الذين جددوا علمه بالحياة وشعوره بها وفهمه لقديمها وحديثها معاً ، وغيروا نظرته إلى مستقبله وأتاحوا لشخصيته المصرية العربية أن تقوى .

ومن هؤلاء الأساتذة الأستاذ حفنى ناصف فقد كان يدرس الأدب العربى القديم حتى أنه فى إحدى المسابقات الشعرية اختار الشيخ طه ليصحح معه إجابات المتسابقين وحضر إلى حجرته لهذا الغرض ، وغيرهم من الأساتذة الذين أحبهم طه حباً شديداً وأجلهم أعظم إجلال ! ! وتم تنظيم الجامعة بعد ذلك ، وفرضت فيها الامتحانات وكانت ضرورة المعرفة بلغة أجنبية ، فقرر طه تعلم اللغة الفرنسية وذهب إلى مدرسة لتعلم هذه اللغة وأعانه المدرس على

فهم هذه اللغة وقرأ له آثار الكتاب والشعراء الفرنسيين واستعان بعدة مدرسين حتى اتقن هذه اللغة تماماً وانتظم فى دروس الأدب الفرنسى وتقدم فيها تقدماً حسناً .

ثم عرف أن الجامعة تنوى على إرسال بعثتين لفرنسا ، فكتب لرئيس الجامعة يطلب ترشيحه لبعثة التاريخ فى جامعة السوربون ، ورفضت الجامعة لعدم حصوله على شهادة الثانوية ولأنه سيكلف الجامعة مصاريف إضافية للمرافق له ، ولكنه أعاد الكتابة لرئيس الجامعة طالباً استثناءه من شهادة الثانوية حيث أنه طالب بالجامعة وأنه على استعداد لعدم طلب مصاريف إضافية لأى مرافق يرافقه ، فأجلت الجامعة النظر حتى يتقن الفرنسية ، فلما أجادها وأتقنها اضطر مجلس الجامعة للموافقة بشرط حصوله على رسالة الدكتوراه من الجامعة ، فأقبل الشيخ طه على إعداد الرسالة والاستعداد للامتحان واستطاع أن ينهى الرسالة فى وقت قصير وكتبها له صديق له ثم ساعده صديق آخر فى طباعتها بطريقة « البالوظة » وسرعان ما تحدد موعد مناقشتها واختباره فى مواد أخرى ، ونجح فى ذلك وحصل على تقدير جيد جداً فى الرسالة وامتياز فى بقية المواد ، وكانت أول رسالة تعتمدها الجامعة فى ٥ مايو ١٩١٤ ، ونال تبرع علوى باشا

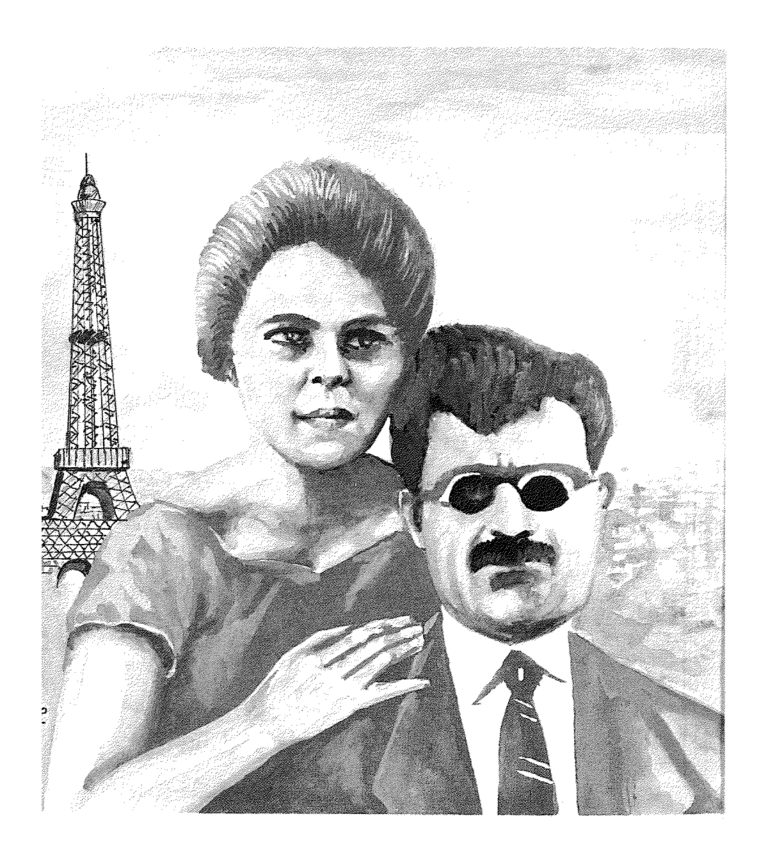
وقدره عشرون جنيها ، وأحس طه بسعادة كبيرة وأحس بالفخر ، وقابل الخديوى – حاكم مصر – فى الاسكندرية وتهيأ بعد ذلك للسفر فقررت الجامعة سفره فى أغسطس من عام ١٩١٤ ، وقام بتوديع أهله حيث كان والده مبتهجاً أشد الابتهاج .

ولكن تأجلت البعثة لنشوب الحرب فزاد ألمه ووافقت الجامعة على قيامه بتدريس تاريخ الآداب العربية مقابل خمسة جنيهات شهرياً لحين سفره ، ولكن فى نوفمبر من نفس العام سافر إلى مرسيليا بصحبة أحد إخوته ، ولبس الملابس الأوروبية ، ونزل من السفينة بعد رحلة شاقة ، ثم توجه الجميع إلى مونبيليه حيث يدرسون مؤقتاً ، وكان سعيداً راضياً بحياته الجديدة التى ابتعدت عن خشونة حياة الأزهر وذهب للجامعة فسمع دروساً حيوية فى الأدب والتاريخ واللغة الفرنسية فأحسن الاستماع ، وكان ينوى على الحصول على درجة الليسانس أولا ولكنه كان يجب عليه دراسة اللغة اللاتينية بالإضافة إلى الفرنسية ، فتعلمها بعد جهد كبير بالحروف البارزة أولا ثم بالاستماع ، ورغم فراق شقيقه ومعيشته مستقلا عنه إلا أنه كان سعيداً يقضى أوقاته فى العلم وفى حل مشاكل أصدقائه .

وتعرف على صوت فى ٨ مايو ١٩١٥ ، هذا الصوت كله عذوبة

ورقة ، تعرف على صاحبة هذا الصوت فى الجامعة وتطوعت للقراءة له فأسعده ذلك ولـكن القدر لم يمهله فطلبت الجامعة منهم سرعة العودة توفيراً للنفقات وحاول أن يستمر فلم تفلح جهوده رغم أن علوى باشا تطوع بنصف أجر البعثة من ماله الخاص ولـكن شقيقه اعتذر عن قبول ذلك ولم يبلغ طه بذلك ، فعاد فى سبتمبر ١٩١٥ وهو محزون كاسف البال مفارق صاحبته التى ارتبط بها .

عاش فى القاهرة ثلاثة شهور كلها شقاء وفراغ وبؤس ولم يكن هناك ما يسعده سوى رسائل صاحبته بين الحين والحين ، حتى أنه كتب فى الصحف يشكو حالته ، ثم قام بنشر كتابه «أبو العلاء المعرى» حيث شغل وقته إلى حد ما . وانفرجت أزمة الجامعة وتأهب للسفر من جديد وقابل السلطان فأمر بصرف خمسين جنيها لـكل عضو فى البعثة وفرحوا جداً وحاولوا التبرع بها للجامعة ولـكن علوى باشا رفض ، وبالفعل سافر هو وزميل له بالبحر عن طريق نابولى واستقبل هناك خطابات من صديقته ثم ركب القطار إلى باريس وكان سعيداً رغم عذاب الرحلة ، ووصل إلى الحى اللاتينى بباريس واستقبل صاحبته بترحاب واستمر فى حياته العلمية والعملية ، كان لا يخرج من البيت إلا إلى السوربون فى عامه الأول ، واضطر لإعادة



مذاكرة دروس الثانوى حتى يفهم دروسه جيداً ، واستمر فى دراسة اللغة الفرنسية واللاتينية حتى أجادهما تماماً ، وسار فى جهاد كبير مادياً وعقلياً ، وسمع فى يوم بمرض صديقته فذهب يزورها وعرض عليها حبه ولكنها ردته برفق وغيرت مجرى الحديث ، وندم على إعلانه خفقات قلبه ، وانزعج حتى أقبلت عليه رفيقة عطوفة لم تتغير وظلت تقرأ له كما تعودت فاستراح باله .

وجاء يوم سفر أسرة صاحبته إلى الريف الفرنسى لقضاء الاجازة وقالت له صاحبته أنها ستفكر فى أمر زواجها منه وإذا دعته لقضاء بعض الصيف معهم فى ذلك موافقتها وعليه أن يحضر للخطوبة ، وبالفعل أرسلت له تدعوه لقضاء بقية الصيف ففرح فرحاً شديداً وذهب على الفور وتمت الخطبة وعاشا فى سعادة وحب ومذاكرة شديدة وقراءة الكتب اللاتينية والفرنسية ، وعادا معاً إلى باريس فاستأنف حياته الجامعية واستأذن الجامعة المصرية فى الزواج فأذنت له ولكنه أجله إلى ما بعد الحصول على الليسانس وبدأ الاستعداد للحصول عليه وبذل جهداً كبيراً وتقدم للامتحان بقلب ثابت وكانت المفاجأة . . النجاح الباهر ، وكانت الفرحة شديدة وأبرق للجامعة فكافأته بعشرين جنيها لأنه أول طالب مصرى يحصل على

ليسانس السوربون فى التاريخ ! ! وبدأ على الفور الاستعداد للزواج وللحصول على الدكتوراه التى وافقت الجامعة عليها ووافقت على طبعها ومناقشتها ، وأجل المناقشة حتى يتزوج خطيبته ، وتم زواجه فى أغسطس عام ١٩٩٦ وقضى الزوجان الصيف فى الريف فعاشا أحلى حلم ، ثم عادا إلى باريس وامتحن فى مواد الامتحان الشفهى ثم ناقش الدكتوراه وثبت فى الامتحان وحصل على الدكتوراه فى رسالته عن « إبن خلدون » بدرجة الشرف الممتازة .

وأقبل على دراسة مواد دبلوم الدراسات العليا واختار له أستاذه موضوعاً من القضايا التى أقيمت فى روما على حكام الأقاليم الذين أهانوا الشعب الرومانى ، وفى أثناء دراسته حدثت غارة جوية على باريس وكانت زوجته حاملا فنصحهما الطبيب بالإقامة فى الريف حتى تتم الولادة وبالفعل سافرا إلى مونبليه حيث يقيما حتى أنجبت زوجته بنتاً سماها أمينة ، وقضى الدكتور طه هذه الفترة فى دراسة اللغة اليونانية . وقد استبشر خيرا بالمولودة الجديدة حيث جاء معها رزق وفير من القاهرة ثم عاد مع زوجته إلى باريس .

وقام الزعيم المصرى بزيارة باريس فاستقبله الدكتور طه وتناقشا فى أمور الوطن ، ونال الدبلوم العالى فى هذا العام وبدأ الاستعداد

للعودة بزوجته وإبنته واضطر للاقتراض[١٤] من زميل له حتى يستطيع الانفاق حتى يصل للاسكندرية . ووصلوا إلى أرض الوطن يا أصدقائى فاستضافهم محافظ الاسكندرية لمدة أسبوع كامل ثم ذهبوا إلى القاهرة ليبدأوا حياتهم بمشاكل عديدة مثل الشقة وتأثيثها فاضطر الدكتور طه إلى أن يقترض ليسدد ديونه وليبدأ حياته ، ثم قابل سلطان مصر الذى أثنى على مثابرته وجهده ودعاه إلى اللجوء إليه فى أى ضيق .

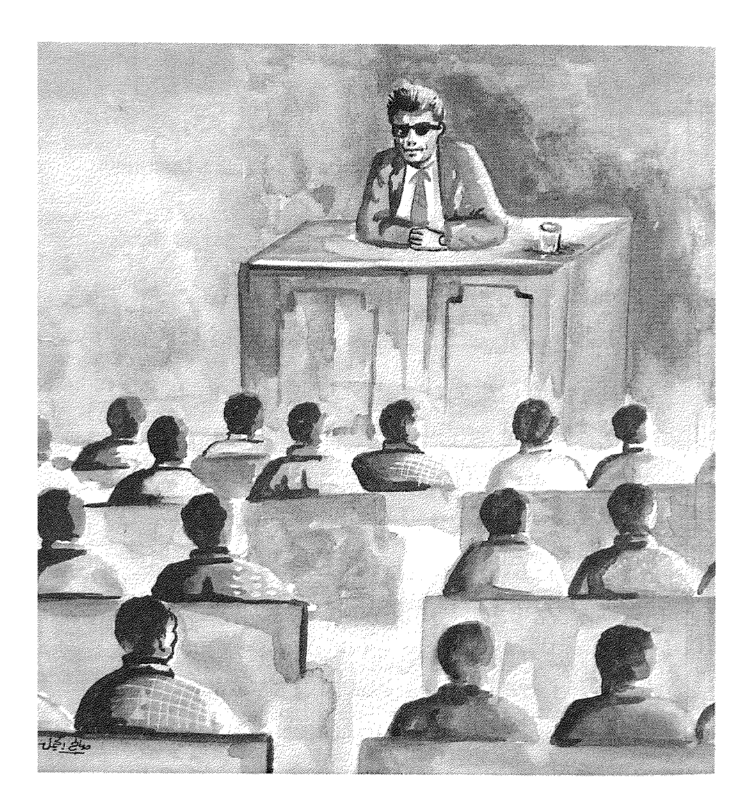
أصدقائى الأعزاء . . .

عاد الدكتور طه للتدريس فى الجامعة ولكن بدأت المشاكل بينه وبينها بسبب رفض الجامعة توفير مرافق له ، فاضطر للاستقالة ولكنه عاد وسحبها ، وقام ببدء العمل الحاد الطويل لصنع الدكتور طه حسين عميد الأدب العربى ، وقام بتأليف كتاب « صحف مختارة من الشعر التمثيلى اليونانى » وأهدى الكتاب للسلطان ليرد بعض أفضاله عليه .

انغمس الدكتور طه حسين فى السياسة وفى الحياة السياسية بفضل إيمانه بالثورة المصرية فى ١٩١٩ ، وكانت له مواقف ضد ضيق

---

(١٤) الاقتراض : هو الاستدانة .



الأفق الذين كانوا يعلنون أن « الحماية على يد سعد خير من الاستقلال على يد عدلى » وكتب ساخرا منهم فى صحيفة « المقطم » وأرضى ضميره ولكن غضب الوفديين كان كبيرا عليه وكذلك القصر الذى عاداه نتيجة مواقفه الوطنية وغرقه فى السياسة .

أصدقائى . . .

كانت هذه أيام طه حسين ذلك المعوق العملاق الذى استطاع أن ينطلق ليكون أول مصرى يحصل على الدكتوراه من الجامعة فى بلده ومن السوربون فى فرنسا فعاد لوطنه ليواصل العمل . . . لقد ترك الدكتور طه حسين تراثاً هائلا فى القصة والدراسات الدينية والأدبية ، وفجر معارك أدبية فى غاية الجرأة ، وله من الآثار العديد والعديد التى أثرت حياة مصر الثقافية ، ومن كتبه (الشعر الجاهلى) الذى حوكم بسببه فى البرلمان المصرى . (ومستقبل الثقافة فى مصر) ، وابن خلدون ، (والظاهرة الدينية عند اليونان) ، (وعلى هامش السيرة) ، (وحديث الأربعاء) ، مع المتنبى وفصول فى الأدب والنقد ، وتجديد ذكرى أبى العلاء ، ومع أبى العلاء فى سجنه ، وألوان ، وعثمان ، والشيخان ، الوعد الحق ، على وبنوه ، أديب ، قادة الفكر ، نظام الأثينين ، أحلام شهر زاد ، رحلة الربيع ،

المعذبون فى الأرض ، وله مجموعة من القصص والروايات :الحب الضائع ، دعاء الكروان ، شجرة البؤس ، صوت باريس ، ما وراء النهر ، نفوس للبيع ، قادة الفكر ، جنة الشوك ، والفتنة الكبرى .

ويعتبر كتاب «المعذبون فى الأرض» تمهيداً لثورة ١٩٥٢ وكانت شخصية الدكتور طه حسين شخصية هزت مشاعر العرب ومست قلوبهم فاختير عميداً للأدب العربى .

كانت أيامه التالية فى غاية الصعوبة ، فتولى عمادة كلية الآداب وأقيل منها ثم عاد إلى العمادة فى وزارة صدقى ، ورفض تولى تحرير جريدة «الشعب» الناطقة بلسان الحزب الحاكم وأقالته الجامعة مرة أخرى فى عام ١٩٣٢ لرفضه منح الدكتوراه لبعض زعماء ثورة ١٩١٩ ثم أبعد عن الجامعة . ثم تقرب من النحاس باشا وطلب أن يكتب فى جريدة «كوكب الشرق» وتلقى درجة الدكتوراه الفخرية من جامعتى أكسفورد بانجلترا والسوربون بفرنسا .

وعرضت عليه الوزارة قبل ثورة يوليو ١٩٥٢ ولم يقبل أن يكون وزيراً إلا بعد إصدار قرار مجانية التعليم فاضطر رئيس الوزراء إلى

تحمل القرار وأصدره فقبل الدكتور طه حسين الوزارة وأقسم اليمين الدستورية ، وتحقق حلمه بل تحققت دعوته بأن التعليم يجب أن يكون مباحا كالماء والهواء . وكان يخرج فى سيارته وهو وزير المعارف ، ليزور القرى والمدن فى الوجه البحرى وكانت الناس تستقبله أروع استقبال ، يتركون أعمالهم من أجل الاستماع ومشاهدة الرجل ذى الارادة القوية الذى استطاع أن يحقق المستحيل . كان يدعو الناس فى الريف للتبرع لإقامة المدارس فيتسابق الناس للتبرع . كانت شخصيته تبرز فى قدرته على الخطابة المرتجلة باللغة العربية الفصحى وكذلك كان عملاقاً فى الخطابة باللغة الفرنسية حتى وفاته فى ٢٨ أكتوبر ١٩٧٣ بعد أن شهد انتصار الشعب فى٦ أكتوبر ١٩٧٣.

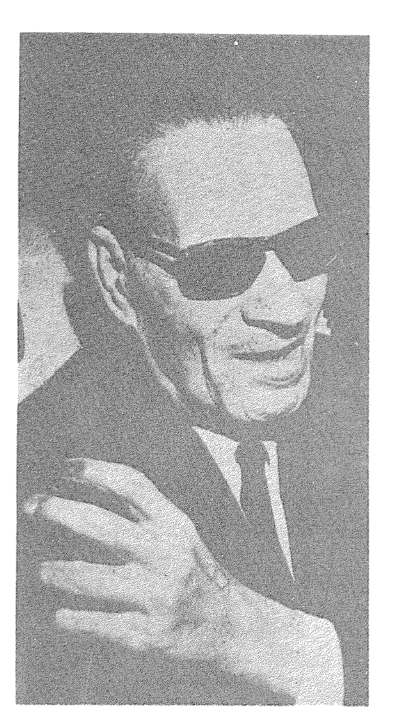
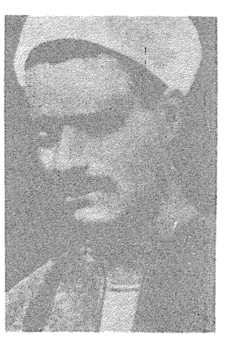
أصدقائى :

لقد وهب الله العقل للانسان لـكى يستعمله فى التفـكير فى ملـكوت الله عز وجل . . . لـكى يستعمله فى تدبير أموره وتحقيق أحلامه وأنتم جميعاً يا أصدقائى . . . ما هى آمالـكم ؟ . . ما هي أحلامـكم ؟ هل منـكم من يريد أن يكون أديباً كبيراً وعملاقاً فى اللغة العربية كطه حسين ؟ وهل منـكم من يريد أن يكون نابغة فى الطب ؟ وهل منـكم من يريد أن يكون مهندساً فذاً ؟ وهل منكم من يريد أن يصبح محامياً بارعاً . . ؟ . . . كل آمالـكم . . . كل أحلامكم يمـكن تحقيقها بالإرادة القوية التى تحول الحلم والأمل إلى حقيقة ... هذه الارادة تـكون شعلة حماس للعمل الدائب . . . وثق يا صديقى أن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا . . . فأحسن عملك تنال مرادك وتحقق آمالك وأحلامك . . .

اعمل يا صديقى لتكون طه حسين الجديد . . . لا تيأس مع أول مشكلة تقابلك بل يجب أن تحلها بهدوء . . . لا تقف أمام أول عاصفة تقابلك فالطريق نحو المجد طويل به عواصف كثيرة وعوائق عديدة ... فقابلها بشجاعة وتحملها بقوة حتى تصل إلى تحقيق آمالك وأحلامك . .

صديق ... صديقى ...

يجب علينا جميعاً ألا نسخر من أى معوق سواء كان مكفوف البصر أو مبتور القدم أو اليد ... فكل هؤلاء خلقهم الله سبحانه وتعالى لحكمة بليغة ... بل يجب علينا أن نمد لهم يد العون لأنهم إخوة لنا اختبرهم الله بعاهاتهم تلك من أجل غاية إلهية يصعب على الإنسان فهمها ... فيجب أن نمد لهم يد العون والمساعدة وأن نحترمهم ونقف بجانبهم ونشجعهم على النجاح والتفوق ونعوضهم عما أصابهم من معوقات .


ثلاث لقطات للدكتور طه حسين الأولى بالعمامة ، والثانيـــة وهو يلبس الطربوش ، والثالثة بدون غطاء للرأس


طه حسين
شجرة البؤس
مطبوعات الجديد
من الأدب المسرحي عند اليونان
طه حسين
تجديد ذكرى أبي العلاء
دار المعارف
الأيام
الجزء الثالث
طه حسين

اعداد المادة : اسماعيل عبد الفتاح
اشراف فني : عزت الليثي
مراجعة لغوية : جمال محمود محمد عيسى
رســـــوم : صالح الجمل
اخـــراج : نبيل صابر


الهيئة العامة للاستعلامات
STATE INFORMATION SERVICE

الأيـــام

للدكتور طه حسين

موعدنا اليوم للقاء مع العدد الثانى من سلسلة تبسيط أعمال كبار الادباء .. مع عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين وأروع كتاباته فى « الايام » .

والدكتور طه حسين غنى عن التعريف ، فهو رمز لتحدى الظلام ، ورمزلشعاع النور الذى يضىء حياتنا رغم ما نعانيه من صعاب ، ورمز للشــموخ وللعزة والكبرياء .. ورمز أيضا للارادة الانسانية الفذة التى تستطيع ان تتحدى كل شىء من أجل تحقيق الأحلام والأمنيات .. ان حياة الدكتور طه حسين أصبحت ملك الأمة العربية كلها نستلهم منها عظات الأمل وقوة العزيمة .. وروعــة الاصرار على العمل .

وأيام الدكتور طه حسين لم تكن كاى أيام .. وليست مجرد سيرة ذاتية حكى فيها المؤلف قصة حياته فى ثلاثة أجزاء كاملة .. ولكنها أعمق من هذا بكثير ، فقد أضاءت لأجيال متعاقبة انوار الأمل فى كل شىء .. مقــدمة البرهان الساطع على قدرة الانسان على الخروج من الآفاق الضــيقة لذاتيته ، واستشراف الحيــاة الانسانية الواسعة ببصيرة نفاذة تفوق قدرات البصر .

ومع هذا العدد ، ونحن نضعه بين يدى الأطفال والشباب ، [illegible] به الارادة القوية الصلبة ، وقيم العمل الجاد الدؤوب فى نفوســـ[illegible] المستقبل ، مستقبلهم الخاص .. ومستقبل الوطن باسره .

الدكتور ممدوح ا[illegible]
رئيس الهيئة العامة [illegible]

مطابع الأهرام التجارية القاهرة ـ مصر